ميثاق الرابطة

لسان رابطة علماء المغرب

أسبوعية جامعة تصدر كل جمعة - الثمن : 3 دراهم

السنة 37 - العدد 1080 - الجمعة 28 رجب 1425 هـ - الموافق 10 شتنبر 2004

بسم الله الرحمن الرحيم

ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن

صدق الله العظيم

أمير المؤمنين يقول في خطاب العرش:

المواطنة الفاعلة لن تستقيم إلا بالتنشئة الصالحة المرتكزة على الأركان الثلاثة المتكاملة : العقيدة السمحة والثقافة المنفتحة، والتربية السليمة.

فالسياسة والدين في نظام الملكية الدستورية المغربية، لايجتمعان إلا في الملك أمير المؤمنين، حريصين في تقلدنا لهذه الأمانة العظمى على أن يمارس الشأن الديني داخل المجالس العلمية والهيئات المؤهلة والمساجد، وأماكن العبادات في ظل احترام حرية ممارسة الشعائر الدينية التي نحن لها ضامنون.

وبصفتنا رئيسا للجنة القدس فإننا سنواصل عملنا الدؤوب، من أجل الحفاظ على هوية هذه المدينة المكلومة كمهد ورمز للتعايش والتسامح بين أبناء الديانات السماوية.

جلالته يقول في ذكرى ثورة الملك والشعب

إننا حريصون علي إعطاء ملحمة ثورة الملك والشعب مضمونا متجددا تنصهر فيه الوطنية الأصيلة بالمواطنة العصرية.

أن تكون مغربيا معناه، الجمع بين التشبع بثوابت الهوية المغربية الموحدة الغنية، بتعدد روافدها وتقاسم القيم، والتطلعات المشتركة للأمة وبين التفاعل الإيجابي مع مستجدات العصر.

يتيعن العمل على ترسيخ منظومة القيم الأخلاقية الرفيعة، التي تشكل جوهر حضارتنا المغربية العريقة، قبل أن تكون مرجعية كونية.

أمير المؤمنين جلالة الملك محمد السادس راعي العدل والمشروعية

لقد من الله على هذا الشعب المغربي الأصيل بقيادة العرش العلوي المجيد، فمنذ أن صارت قيادة أمتنا تنعم تحت ظل هذا البيت النبوي الشريف وهي تخطو خطوات ثابتة تكفل للمغرب والمغاربة التماسك والتقدم والحفاظ على وحدة الأمة المغربية ترابيا وبشريا بالرغم من المحاولات الماكرة التي أراد عدو هذا الوطن من خلالها تشريد هذا البلد الأمين أرضا وساكنة، لكن بصمود العرش العلوي المجيد والشعب المغربي الوفي تكسرت مرآة أحلام الغزاة الطامعين على صخرة إيمان القيادة والقاعدة، ولقد تيقن العدو بالنضال الملموس بعد ثورة الملك المجاهد الأكبر جلالة المغفور له محمد الخامس ورفيقه في الكفاح وساعده الأيمن جلالة الملك الحسن الثاني طيب الله ثراهما، لقد تيقن أن هذا الوطن العزيز بقيادة العرش العلوي المجاهد لا يمكن لقوة كيفما كان طغيانها وكيفما كان جبروتها أن تحد من حرية هذا الشعب، أو أن تعبث بوطنه، أو تمس بوحدته، لصمود القيادة والشعب ضد الغازي المعتدي، ولئن كانت التخطيطات التي تهيأ من طرف الأعداء تخضع لدراسة ماكرة تغذيها أطماع التوسعيين من حين لآخر لكن مآلها الفشل، لعدالة مواقفنا وشرعية نضالنا ودفاعنا عن حرمة أمتنا التي لا تعتدي على الغير ولا تستسلم للظلم، ويشهد على ذلك ثورة الملك والشعب التي أحيينا ذكراها المجيدة هذه الأيام بكل فخر واعتزاز لما أعطتنا من حرية واستقلال حققهما المغفور له جلالة الملك محمد الخامس وشعبه الوفي، كما وفرت لنا هذه الثورة المشروعة بقيادة العرش العلوي المجيد ما كنا نصبو إليه من توحيد الوطن وبنائه بقيادة الموحد الباني جلالة المغفور له الحسن الثاني طيب الله ثراهما وأسكنهما فسيح جناته بفضله وجوده وكرمه... وها نحن نسير بخطى حثيثة لتوطيد الوحدة وبناء هذا الوطن بقيادة خير خلف لخير سلف أمير المؤمنين جلالة الملك محمد السادس أعزه الله ونصره، الذي وفر لأمته وشعبه حرية كاملة في إطار الحق والقانون بكل شفافية، باعثا في الأسرة روح التضامن والتآلف والمساواة في نهج يكفل للكل حقه، ويصون للجميع شرفه، ويحقق للمجتمع أمله في ظل الديموقراطية السليمة.

إن ثورة الملك والشعب أعطتنا نتائج مهمة للغاية، ولئن كان أفضلها هو حريتنا واستقلالنا ووحدة بلدنا، فإنها كذلك بعد مضي سنتين كما قال أمير المؤمنين في خطابه السامي الذي وجهه للأمة بمناسبة الذكرى الخمسين لثورة الملك والشعب حيث قال بالحرف: (وبعد مضي سنتين حققت هذه الثورة المظفرة نهاية عهد الحجر والحماية وبزوغ فجر الحرية والاستقلال ودخلت سجل الخلود ليس كحدث تاريخي عابر وإنما كمذهب لاسترجاع السيادة وإرساء الملكية الدستورية الديموقراطية والقضاء على التخلف والجهل والانغلاق).

لقد أعطت هذه الثورة المباركة ما كان ينوخى منها من حرية واستقلال ووحدة وتقدم لهذه الأمة التي حوربت كي لا ترى النور في ميادين تكفل لها الرقي، فكسرت تلك الأغلال وحطمت تلك الحواجز بالعمل الجاد المدروس الذي لا يعرف التوقف ولا إضاعة الوقت لحكمة القيادة وبعد نظرها وإخلاص القاعدة وعمق وفائها.

فعلى هدي هذه الثورة المجيدة كما قال سيدنا: (أرست الإرادة المشتركة للأمة ولجدنا ووالدنا المنعمين جلالة الملكين محمد الخامس والحسن الثاني قدس الله روحيهما قواعد دولة حديثة تقوم اليوم بتوطيد دعائمها الاقتصادية والاجتماعية) وفعلا كان للمغرب مقام تام وحضور متميز آثار إعجاب الجميع وصار مرجعية في الدفاع عن حقوق الشعوب والعمل الجاد في محاربة الجهل والتخلف اللذين أصابا العالم الثالث حتى تخلف عن ركب التقد، قال سيدنا أعزه الله: (وعلى مدى نصف قرن من الزمن تواصلت هذه الثورة الدائمة بما يساهم به كل مغربي ومغربية بعمله الوفي الدؤوب كل من موقعه في أسرته ومدرسته ومهنته وجمعيته في بناء دولة موحدة عصرية) فكان لهذا الجهد المتضافر أكبر مردودية تجعلنا نثمن ما قام به أولئك الوطنيون الأبطال صانعوا تاريخ المقاومة الذي أثمر ما نحن نتمتع به من حرية تكفل لكل واحد منا أن يشمر عن ساعد جده قصد الخلق والإبداع والتشييد.

ويقوم بمراجعة لنفسه عما حقق لبلده العزيز كما قال سيدنا دام علاه: (وهل يحاسب كل منا ضميره في كل وقت وحين ماذا أعطيت لوطني بدل أن يتشكى بكل أنانية... كم أخذت من وطني...) وفي خطاب جلالته السامي بمناسبة الذكرى الواحدة والخمسين لاحا على الوفاء لرواد الوطنية الحقة قال: (تلكم هي القيم التي يجب أن يتشبع بها مغاربة اليوم ليظلوا أوفياء لرواد الوطنية الحقة في أسمى معانيها وفي طليعتهم جدنا ووالدنا المنعمان جلالة الملك محمد الخامس والحسن الثاني خلد الله في الصالحات ذكراهما لنا فيهما خير قدوة لحمل مشعل الثورة الدائمة للملك والشعب). فعلينا أن نتشبث بهذه الدرر الغالية والنصائح الشاملة لما ينطوي عليه هذا التوجه من مصلحة الفرد والجماعة وخدمة الوطن الصادقة.. والنهوض بأمتنا حتى تقلع ماديا واقتصاديا وتحتل المكانة اللائقة بها بين الأمم المتقدمة... لكون العصر الذي نعيشه لا مكان للضعيف فيه.

إن ما يدعو إليه أمير المؤمنين في خطب جلالته السامية من الحفاظ على ديننا وقيمنا وأصالتنا وثوابتنا المغربية فيه ضمانة لتحصيننا ووقاية لشخصية أمتنا المغربية المتميزة من كل التيارات العاتية التي ميعت كل من ليس له عقيدة تحميه من ذوبانه، ولتحقيق هذا الهدف السامي قال أعزه الله في خطاب العرش: (إننا مصممون على مواصلة التفعيل الأمثل لإصلاح الشأن الديني لترسيخ قيم ديننا الإسلامي الحنيف والحفاظ على وحدة المذهب المالكي مع اعتماد اجتهاد منفتح يتماشى مع مستجدات العصر تحصينا لأجيالنا من التيارات الدخيلة والهدامة) هذا أكبر ضمانة لنا من أمير المؤمنين على رعاية مقدساتنا وإيلائها العناية الكاملة إذ سيدنا أعزه الله حامي حمى الوطن والدين.

هذا الدين الذي كله رحمة ويسر ويتجاوب مع الفطرة ويحارب التزمت والإرهاب والعنف، فهو دين السلم والإخاء والمودة والتضامن.

حفظ الله سيدنا وأعاد على جلالته هذه الأعياد الدينية والوطنية مرات تلو مرات وهو يرفل في ثوب العز والنصر والتمكين مقرور العين بسمو الأمير الجليل ولي العهد مولاي الحسن وبصنوه السعيد سمو الأمير مولاي رشيد وبجميع أفراد الأسرة المالكة والشعب المغربي إنه ولي التوفيق.

بقلم الشيخ ماء العينين لارباس

تحتوي هذه الصحيفة على آيات قرآنية وأحاديث نبوية، المرجو صيانتها عن أي امتهان.

غار والمرسلات بمِنى

■ إعداد الأستاذ: عبد القادر العافية

■ إن العلاقات الودية التي تمتنت بين التجيبي، وبين أصدقائه من الفضلاء والعلماء المكيين والمجاورين مكنته من الاستفادة منهم، وهم بدورهم لما تأكدوا من شغف الرجل بحب الاطلاع، وحب الاستزادة من المعرفة، والبحث عن دقائق الأمور ساعدوه على ذلك، وتفانوا في تلبية رغبته التواقة لمعرفة كل مايتعلق بأثرالرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته، والتابعين لهم بإحسان، ومعرفة مايتعلق بالأماكن ذات الدلالة التاريخية والدينية، لقد وجد التجيبي في أصدقائه ماساعده على المضي في كتابة مذكراته التي كان يحرص على أن تكون ديوانا مفيدا لمن يقرأ رحلته ويتعرف على مابذله من جهود في سبيل إنجاز عمله، وكذلك كان، حيث أثنى العلماء ثناء عاطرا كابن حجر، والشيخ أحمد بابا التنبوكتي وغيرهما، اثنوا على ماتضمنته رحلته من معلومات قيمة وطريفة ومفيدة، ودقيقة في نفس الوقت.

وفي ختام هذه الحلقات بحول الله سنرى كيف تلقى العلماء رحلة التجيبي، وكيف نظروا إليها، وقدّروا عمله فيها..

لقد حدثنا التجيبي فيما سبق عن منى، وعن موقعه وأسمائه، وعن الجمرات، ومسجد الخيف المبارك، وأنه كان مقصد العلماء، والفضلاء، ونقل بسنده المتصل الحوار العلمي الذي دار بين أئمة علماء الحديث الذين اجتمعوا بمسجد الخيف، وهم: يحيى بن معين، وعلي بن المديني، وأحمد بن حنبل، ورجاء بن مرجى الحافظ.

وبعد ذلك يستمر في وصف مشاهد منى فيقول: "من المشاهد التي أرانا الشيخ عماد الدين بمنى، غار، في أصل جبل بمقربة من مسجد الخيف المبارك، يعرف بغار: (والمرسلات)لأن فيه أنزلت على النبي صلى الله عليه وسلم، سورة والمرسلات عرفا...

وروى التجيبي بسنده إلى الأعمش، قال: حدثني إبراهيم، عن الأسود عن عبد الله، قال: بينا نحن مع النبي صلى الله عليه وسلم في غار إذ نزلت عليه والمرسلات، فإنه ليتلوها، وإني لأتلقاها من فيه، وإن فاه لرطبة بها، إذ وثبت علينا حية، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: اقتلوها، فابتدرناها، فذهبت، فقال النبي صلى الله عليه وسلم وُقيتُ شركُمْ، كما وقيتم شرها"... الحديث، ثم يقول: وقد رواه أبو عبد الله البخار أيضا في بدء الخلق، عن عبدة بن عبد الله عن يحيى بن أدم، عن إسرائيل، عن منصور عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله، ووقع لنا حديث عبدة هذا عاليا موافقة للبخاري رحمه الله". ثم استرسل في ذكر أسانيد لهذا الحديث، إلى أن يقول: "دخلنا هذا الغار المبارك مع شيخنا الإمام عماد الدين، وصلينا فيه ماقدر لنا، تقبل الله ذلك، وأخلصه لوجهه االكريم، وتلونا بازائه سورة (والمرسلات) من أولها إلى آخرها، وسمعنا على الشيخ عماد الدين المذكور هناك شيئا من صحيح مسلم، ودعا لنا بما يرجى قبوله بفضل الله ورحمته، ورأينا في هذا الغار المبارك أثرا في الحجر، ذكر لنا أنه لان للنبي صلى الله عليه وسلم، والله تعالى أعلم، وأعلام نبوته صلى الله عليه وسلم أكثر من أن تحصى، وبالله التوفيق."

ومن المشاهد التي زارها التجيبي بمنى مسجد الكبش، ذكر له أن هناك نزل الكبش الذي فدى الله تعالى به أحد ولدي إبراهيم عليه السلام، إسحاق أوإسماعيل على الخلاف في ذلك، وهو بمقربة من سفح ثبير، وفي حائط الصحن من هذا المسجد من ناحية الجبل حُجَرٌ أدكن موقف على حرفه، فيه أثر يقولون: إنه أثر قدم الذبيح عليه السلام، حين أضجعه إبراهيم عليه السلام، إلى الذبح فركض برجله هذا الحجر فلان له وغرقت فيه رجله عليه السلام، والله تعالى أعلم.

نرى التجيبي يقف موقف المستسلم من هذه الأقوال، ولايزيد على قوله: والله تعالى أعلم، مع أنه في بعض الأحيان يتشكك أو يستنكر، ويبدو أن أصدقاءه من الفضلاء كانوا لايشكون فيما يحكى لهم فتأثر بهم.

ومن الآثار التي شهدها كذلك: مسجدا عند جمرة العقبة وهو عن يسار المتوجه من مكة إلى منى على قارعة الطريق، وعلم جمرة العقبة المذكورة ملصق به، وهذه الجمرة هي أول مايلقى المتوجه من مكة المشرفة إلى منى، وموضع هذه الجمرة مبلط بالحجارة، بلطته أم جعفر بنت جعفر ابن أبي جعفر زوج أم جعفر أمة العزيز وقيل أمة الواحد الملقبة بزبيدة، لقبها بذلك جدها الخليفة ابو جعفر المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس عبد عبد المطلب رضي الله عنهم، وفي عبد المطلب يلتقي نسبه مع نسب الرسول صلى الله عليه وسلم، وهي حافدة خليفة، وزوج خليفة، وأم خليفة زوجها الرشيد هارون، وابنها الأمين محمد بن الرشيد، رحمها الله، ونفعها بقصدها.

وكان الناس يلقون قبل هذا التبليط مشقة شديدة في المرور به لضيقه وتوعره، فأنفقت فيه أموالا عظيمة، وأوسعته لحجاج بيت الله الحرام، نفعها الله تعالى، ولها رحمها الله تعالى في طريق الحجاز آثار حسنة، ومصانع جليلة، لم يسبقها أحد إلى مثلها، وسقت أهل مكة بعد أن كانت الراوية بدينار، وأسالت الماء عشرة أميال تخط الجبال، وتجوب الصحراء حتى علقته من الحِلّ إلى الحرام، وقال لها وكيلها وقد أمرته أن يعمل بعض تلك المصانع الشريفة: تلزمك نفقة كثيرة، فقالت له: اعمل، ولو كانت ضربة فأس بدينار، وكان لها مائة جارية يحفظن القرآن، ورد كل واحدة منهن عُشُرُ القرآن، وكان يسمع في قصرها دوي كدوي النحل من قراءة القرآن العزيز"

. هذا وللتجيبي على عادته يستطرد استطرادات مفيدة، وذات دلالة يمتع بها القارئ، فهو يذكر عن زبيدة زوج هارون الرشيد، فضائل ومآثر، ومبرات من جملتها أنها أنفقت بسخاء من أجل جلب الماء إلى مكة المكرمة لإرواء أهلها، وحجيجها، وعبّدت الطرق، وبلطت ماحول جمرة العقبة، وأراحت الناس من العناء الشديد الذي كانوا يعانون منه، أثناء رمي الجمرات.

وذكر أنها أجابت وكيلها المشرف على نفقة إيصال الماء لمكة، بقولها: اعمل، ولو كانت كل ضربة فأس بدينار؟! وذكر أنها من حبها للقرآن الكريم، كان لها مائة جارية يحفظن القرآن، وجعلت ورد كل واحدة منهن عشر القرآن، أي أن كل واحدة منهن ترتل ستة أحزاب في اليوم. وهكذا كانت المرأة العربية المسلمة سبّاقة لعمل الخير، والبر، ولما ينفع الناس في دنياهم وآخرتهم، وعملية تحفيظ القرآن الكريم لمائة جارية عملية تحتاج إلى وقت، وإلى صبر، وإلى معلمين ومعلمات يسهرون على ذلك، وإلى جدية ومثابرة، وتوجيه وتعهد... لأن مهمة تحفيظ القرآن المجيد بإتقان وحسن أداء، وعلى الوجه المطلوب في التجويد والأداء، مهمة صعبة وشاقة لاتتم إلى على يدي مهرة بالقرآن جادين مخلصين.

ويبدو أن التجيبي تأثر بما ذكره الرحالة الأندلسي ابن جبير، من الثناء على زبيدة أمة العزيز، وأنها بذلت جهودا مشكورة في إيصال الماء إلى مكة. وأنها كانت امرأة صالحة، لها أعمال جليلة في ميدان النفع العام ومصالح العباد، ومن المعلوم أن هذه السيدة كانت من فضليات النساء، وكان جدها المنصور يحبها ويأنس بها ويداعبها وهو الذي كان يناديها بزبيدة فغلب عليها، وإليها تنسب عين زبيدة في مكة، جلبت إليها الماء من أقصى وادي النعمان، وأقامت له الأقنية حتى أبلغته مكة، تعرضت لمحنة الاضطهاد بعد موت ولدها محمد الأمين على يد رجال المأمون، فكتبت إليه تشكو حالها، فعطف عليها وأكرمها، وجعل لها قصرا بدار الخلافة، وترك لها ثروتها الواسعة، قال الحريري في إحدى مقاماته: "لو حبتك شيرين بجمالها، وزبيدة بمالها..." وذكر بعض المترجمين لها أنها أعظم نساء عصرها دينا، وأصلا، وجمالا، وصيانة، ومعروفا..

ويمضي رحالتنا في ذكر مشاهده فيقول: "ومما عايناه في المواضع الشريفة الموصوفة بالبركة مسجد، في طريق التنعيم وبإزائه درجة تعلوها درجة تعلوها درجة أخرى، ويسمون هذا الموضع "المتكأ" ويذكرون أن النبي صلى الله عليه وسلم، قعد فيه مستريحا عند مجيئه من العمرة، فالمعتمرون يقصدون الآن الجلوس في هذا الموضع المبارك، ويلمسونه بأيديهم على جهة التبرك، وحق لهم ذلك، وبمقربة من هذا الموضع الآبار المعروفة، بآبار الزاهد، ومن جملتها بئر تعرف ببئر عسيلة، وقد وافق اسمها مسماها، وماؤها عذب فرات، كأنه العسل حلاوة وطيبا، ورايت كثيرا من الناس يفضلونه في الحلاوة على ماء النيل والمطر، وليس حول مكة ماء أشد حلاوة منه، والله تعالى أعلم".

كتاب صدر

صدر مؤخرا العددان 377 و378 من مجلة دعوة الحق يضمان دراسات وأبحاث قيمة لنخبة من العلماء والباحثين سنعود لها في أعداد لاحقة بحول الله.

الوثاق

مباحث الإمامة

للعلامة عبد القادر الفاسي

قال الشيخ الإمام العالم العلامة ابو محمد سيدي عبد القادر بن علي بن يوسف الفاسي رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين.
باسم الله الذي من اعتصم بحبله نجى وسلم، وأصلي على محمد نبيه وآله وأسلم، صلاة وسلاما يتعاقبان، ما جهل حكم أو علم.
هذه أجوبة متسائل كثر فيها اللغط والشغب وقام لها انتصار والحجاج لها طوائف من كل حدب، لإشارة من إشارته عزم، وإسعاف مرغوبه على حتم، متوخيا في ذلك فصوص النصوص، متنكبا عما يحتمله العموم والخصوص، لأن ذلك ادعى للقبول وأسرع لحسم اللجاج والمقول، فنقول والله المعين على بلوغ المأمول.

فصل في وجوب طاعة الإمام

وأما طاعة الإمام فإنها واجبة لقوله تعالى: وأولي الأمر منكم، ما لم يخالف حكم الشرع، لما ثبت في الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: على المرء المسلم السمع والطاعة، فيما أحب أو كره، إلا أن يومر بمعصية، فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة، وفي ابن حجر من بديع الجواب قول بعض التابعين لبعض الأمراء من بني أمية، لما قال له اليس أمركم أن تطيعونا في قوله وأولي الأمر منكم، فقال له أليس قد نزعت عنكم الطاعة إذا خالفتم الحق بقوله تعالى، فإن تنازعتم في شيء، الآية، قال الطيبي، أعاد الفعل في قوله، وأطيعوا الرسول إشارة إلى استقلال الرسول بالطاعة، ولم يعره في أولي الأمر، إشارة إلى أنه يوجد فيهم من لا تجب طاعته، ثم بين ذلك بقوله فإن تنازعتم في شيء، كأنه قيل فإن لم يعملوا بالحق فلا تطيعوهم وردوا ما تخالفتم فيه إلى حكم الله والرسول انتهى.

فصل في حكم عزله

وأما العزل فإنه لا يجوز بلا سبب، ولو خلعوه لامتنع تقدم غيره والسبب المتفق عليه، هو كل ما يزول به مقصود الإمامة، قال في شرح المقاصد ينحل عقد الإمامة بما يزول به مقصود الإمامة، كالردة والجنون المطبق، وصيرورته أسيرا لا يرجى خلاصه، وكذا بالمرض الذي ينسيه العلوم، وبالعمى والصمم والخرص، وكذا بخلعه نفسه لعجزه عن القيام بمصالح المسلمين وإن لم يكن ظاهرا، بل استشعره من نفسه، وعليه يحمل خلع الحس نفسه، وأما خلعه لنفسه بلا سبب، ففيه خلاف انتهى، الأبي عن الامدي، فإن قيل يلزم أن يكون عثمان رضي الله عنه قد خرج عن الإمامة حين حصر في داره لأنه لم يكن حينئذ قادرا على الزجر، أجيب بأنه كان نافذا لحكم شرقا وغربا، وقادرا على الزجر ولاكنه هاش عليه أوباش من الناس وقصد تسكين الفتنة، وأخذ الأمر باللين، ولم يعلم ما يؤول إليه الأمر انتهى،

❖ ❖ ❖ ❖

وقال البكي وأما إن عزل نفسه بنفسه فإن كان لعجزه عن القيام بالأمر انعزل، وإلا فلا، وفي الموافق وشرحه وكلامه خلع الإمام وعزله لسبب يوجبه، مثل أن يوجد منه ما يوجب اختلال أحوال المسلمين، وانتكاس أمور الدين، كما لهم نصبه وإقامته، لانتظامها وإعلامها، وإن أدى خلعه إلى الفتنة احتمل أدنى المضرتين انتهى.

❖ ❖ ❖ ❖

ثم ما ذكر من الانعزال بكل ما يختل معه مقصود الإمامة الشامل للعجز وغيره، إن وجد أقدر منه فظاهر، ولم يوجد إلا عجز منه، أو مثله فهو يعزل أو لا يعزل لعدم الفائدة محل نظر، وبالثاني حزم شيخنا العارف سيدي عبد الرحمن بن محمد رحمه الله، وهذا النظر إنما هو إذا لم تكن له شوكة يؤدي عزله والخروج عليه بسببها، إلى أشد مفسدة، وإلا فلا يخرج عليه احتمالا لأدنى المضرتين كما قال، ومن ذريتي، قل لا ينال عهدي الظالمين، ذهب إلى هذا طائفة من السلف الصالح، واتبعهم على ذلك فضلاء من الفقهاء والعلماء من أهل المدينة والعراق، ولهذا خرج ابن الزبير وسيدنا الحسين على يزيد الشقي الملعون، وخرج خيار أهل العراق وعلماؤهم على الحجاج، ولهذا أخرج أهل المدينة بنو أمية عنهم وقاموا عليهم، فكانت الحرة وبهذه اللفظة، وما كان مثلها في معناها تعلقت طائفة من المعتزلة، وهو مذهب جماعة الخوارج، وأما جماعة أهل السنة اليوم، وأيمتهم فقالوا هذا هو الاختيار أن يكون الإمام فاضلا عالما عدلا محسنا قويا على القيام بما يلزمه في الإمارة، فإن لم يكن فالصبر على طاعة الإمام الجائر أولى من الخروج عليه، لأن في منازعته والخروج عليه استبدال الأمر بالخوف وإراقة الدماء وانطلاق أيدي الدهماء، وشن الغارات على المسلمين والفساد في الأرض وهذا أعظم من الصبر على جور الجائر.

❖ ❖ ❖ ❖

وروى عبد الرحمن بن مهدي عن سفيان الثوري عن محمز بن المنكدر قال قال ابن عمر حين بويع ليزيد بن معاوية، إن كان خيرا رضينا، وإن كان بلاء صبرنا انتهى.

وقال الإمام البكري الذي عليه الجمهور أنه لا يعزل بالفسق لأن ذلك قد تنشأ عنه فتنة هي أعظم من فسقه، وذهب الشافعي في القديم إلى أنه يعزل، وعليه اقتصر الماوردي في الاحكام السلطانية، وقال إمام الحرمين وإذا جار والي الوقت وظهر ظلمه ولم ينزجر عن سوء صنيعه بالقول فلأهل الحل والعقد التواطؤ على خلعه، ولو بشهر السلاح ونصب الحروب انتهى.

❖ ❖ ❖ ❖

أما ما حكاه عن الشافعي ففي شرح العقائد المسطور في كتب الشافعية، أن القاضي يعزل بالفسق بخلاف الإمام، والفرق أن في انعزاله وجوب نصب غيره إثارة الفتنة لما له من الشوكة بخلاف القاضي انتهى، وقال النووي وأما الوجه المذكور في كتب الفقه لبعض أصحابنا أنه ينعزل، وحكمي عن المعتزلة أيضا فغلط من قاله مخالف للإجماع.

❖ ❖ ❖ ❖

وأما قول إمام الحرمين فقد قال النووي بعد نقل كلامه، وما ذكر من خلعه غريب، ومع هذا فهو مجهول على ما إذا لم يخف منه إسثارة مفسدة أعظم منه انتهى، ولابن محرز في تبصرته من شارك في عزل إنسان وتولية غيره، ولم يأمن سفك دم مسلم فقد شارك في سفك دمه ان سفك، وقال ابن العربي في قوله، وأن لا ننازع الأمر أهله يعني من ملكه لا من يستحقه، فإن الأمر فيمن يملكه أكثر منه فيمن يستحقه، والطاعة واجبة في الجميع، فالصبر على ذلك أولى من التعرض لا فساد ذات البين، وقال النووي في منهاجه في قوله صلى الله عليه وسلم، اسمع وأطع وإن كان عبدا، قال تتصور إمامة العبد إذا ولاه بعض الأيمة، وتغلب على البلاد بشوكته واتباعه، فيسمع له ويطاع، وقال عياض: أحاديث مسلم كلها حجة في منع الخروج على أيمة الجور، وفي لزوم طاعتهم، وقال أيضا جمهور أهل السنة من أهل الحديث والفقه والكلام: انه لا يخلع السلطان بالظلم والفسق وتعطيل الحقوق، ولا يجب الخروج عليه بل يجب وعظه وتخويفه، زاد أبو حامد وتضييق صدورهم.

❖ ❖ ❖ ❖

وقال أبو عمرو في تمهيده في قوله عليه الصلاة والسلام: الدين النصيحة، إلى أيمة المسلمين، قال أوجب ما يكون هذا على من واكلهم وجالسهم، وكل من أمكنه نصح السلطان لزمه ذلك، قال مالك وذلك إذا أرجى أن يسمع، قال أبو عمر، وإلا دعا لهم، فإنهم كانوا ينهون عن سب الأمراء، ثم نقل بسنده كان الأكابر من أصحاب رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهون عن سب الأمراء، وفي شرح العقائد وقد ظهر الفسق، وانتشر الجور من الأيمة والأمراء بعد الخلفاء الراشدين والسلب، وكانوا ينقادون لهم ويقيمون الجمع والأعياد بإذنهم، ولا يرون الخروج عليهم لأن العصمة ليست بشرط في الإمامة ابتداء فبقاؤه أولى انتهى.

❖ ❖ ❖ ❖

وإلى هذا ينظر حديث الصحيحين إنكم سترون بعدي أثرة أمورا تنكرونها قالوا فما تأمرنا يا رسول الله قال أدوا اليهم حقهم واسألوا الله حقكم، وكذلك قول ابن عمر لما خلع أهل المدينة يزيدا لا أعلم احدا تابع في هذا الأمر إلا كانت الفيصل بيني وبينه، وفي صحيح مسلم خيار أيمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم وتصلون عليهم ويصلون عليكم وشرار أيمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم، قيل يا رسول الله افلا ننابذهم بالسيف، قال لا، ما أقاموا فيكم الصلاة، وإذا رأيتم من ولاتكم شيا تكرهونه فاكرهوا عمله ولا تنزعوا يدا من طاعته، ومعنى قوله ما أقاموا الصلاة فيكم، أي ماداموا على كلمة الاسلام ولم يظهروا كبرا بينا، أي ما كان لهم حكم أهل القبلة والصلاة، ولم يرتدوا، ولم يبدلوا الدين، ويدعوا إلى غيره وهو معنى حديث إلا أن تروا كفرا بواحا، إلى غير ذلك من الأحاديث يطول سردها.

❖ ❖ ❖ ❖

وحمل اليفرني ترك الصلاة على بابه، فإنه قال قال علماؤنا الذي يجب به خلع

■ الأستاذ: إدريس كرم

الإمام، شيئان أحدهما يرجع إلى دينه، والثاني يرجع إلى نقص في بدنه، فأما ما يرجع إلى دينه فشيئان احدهما متفق عليه، والثاني مختلف فيه، والمتفق عليه شيئان أحدهما الكفر، والثاني ترك إمامة الصلاة، والدعاء إلى ذلك، ثم ذكر باقي الأقسام، وقال الأبي معنى ما صلوا ماداموا على الاسلام وقيل المراد الصلاة حقيقة، للاشعار بعضيم أمرها، وإن تركها يوجب نزع اليد من الطاعة كالكفر، وهو أحد الموجبات للقيام على الحجاج لأنه يميت الصلاة، أي يخرجها عن وقتها انتهى.

وفي غريبي الهروي في الحديث أن من اقتراب الساعة ان يتمرس الرجل بدينه كما يتمرس الرجل بالشجرة قال ابن الأعرابي التمرس شدة الالتواء، قال ابن القتبي هو أن يتلعب بدينه، ويعبث به، تمرس البعير، أي كما يتحكك البعير بالشجرة، وقال غيره تمرس الرجل بدينه، هو أن يمارس الفتن ويشاهدها، ويخرج عن إمامه، فيضر بدينه ولا ينفعه غلوه فيه، كما لا أن الأجرب ومن الابل اذا تحكك بالشجرة ادماه، ولم يبريه من جربه، وقال ابن عطية ورايت للحسن البصري أنه احتج بقوله، وتمت كلمة ربك الحسنى علي بني اسرائيل بما صبروا الآية على أنه ينبغي أن لا يخرج على ملوك السوء، وإنما ينبغي أن يصبر عليهم، فإن الله تعالى يدمرهم، ورأيت لغيره أنه قال إذا قابل الناس البلاء بمثله، وكلهم الله إليه، وإذا قابلوه بالصبر، وانتظار الفرج، أتي الله بالفرج، وروى هذا ايضا عن الحسن، انتهى.

❖ ❖ ❖ ❖

وقال ابن المنير على حديث ان الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر، السلطان اذا حمى حوزة الاسلام لا يخرج عليه ويخلع، لأن الله قد أيد به دينه، فيجب الصبر عليه، والسمع والطاعة في غير المعصية.

ومن هذا الوجه استباح العلماء الدعاء للسلطان بالتاييد والنصر، وغير ذلك من الخير انتهى.

❖ ❖ ❖ ❖

وقال العلقمي على حديث هلكة أمتي على ايدي غلمة من قريش، في هذا الحديث حجة لترك القيام على السلطان ولو جار، لأنه عليه السلام أعلم ابا هريرة باسماء هؤلاء، وأسماء آبائهم، ولم يأمر بالخروج عليهم مع إخباره أن هلاك الأمة على أيديهم، لكون الخروج أشد في الهلاك، فاختار أخف المفسدتين، وايسر الأمرين انتهى.

❖ ❖ ❖ ❖

وذكر ابن عرفة عن الأمدي أن الخارج على الإمام الذي لا يجوز الخروج عليه، إن كان متوليا، فالظاهر عدم فسقه، وإن لم يكن كذلك، فلا خلاف في فسقه، هذا حكم الجائر الفاسق القادر على تنفيذ الأمور والتصرف فيما أراد، وأما العاجز عن الأمور المختل معه مقصود الإمامة، فبايع غيره لتحقق عجزه، لو لم يبايع فقد تقدم فيه كلام صاحب المقاصد والمواقف وغيره.

ثم اعلم أنه إذا ثبتت الإمامة بالقهر والغلبة ثم جاء آخر فقهره انعزل، وصار القاهر إماما تقليلا للمفسدة، بحسب الإمكان نص عليه سعد الدين وغيره.

(يتبع)

الحديث التاسع والمائة: التعامل مع العلماء: ضوابط وآداب

■ إعداد الأستاذ: عبد الله بوغوتة

في ظلال الحديث:

نص الحديث:

حدثنا عاصم بن رجاء بن حيوة عن داود بن جميل عن كثير بن قيس عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "...وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب إن العلماء ورثة الأنبياء إن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما إنما ورثوا العلم فمن أخذ به أخذ بحظ وافر" رواه الترمذي.

تخريج الحديث

أخرجه الترمذي في سننه، كتاب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة، ج5/ص49/ح2682. وأبي داود في سننه، كتاب العلم، باب الحث على طلب العلم، ج3/ص317/ح3641 وابن ماجة في سننه، في المقدمة، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، ج1/ص81/ح223، وأخرجه أحمد في مسند الأنصار، باقي حديث أبي الدرداء، ح20723، والدارمي في سنه، في المقدمة، باب في فضل العلم والعالم، وابن حبان في صحيحه ج1/ص299/ح88.

درجة الحديث

قال الشيخ شعيب الأرناووط: حديث حسن، وقال الترمذي: ولانعرف هذا الحديث إلا من حديث عاصم بن رجاء بن حيوة، وليس عندي بمتصل، وقال الألباني: حديث صحيح.

سند الحديث

هذا الحديث أخرجه الترمذي في سننه، وقال: حدثنا عاصم بن رجاء بن حيوة عن داود بن جميل عن كثير بن قيس عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال... وذكر الحديث وهذه تعريفات موجزة بالرواة:

حدثنا عاصم بن رجاء بن حيوة: هو عاصم بن رجاء بن حيوة الكندي الفلسطيني ويقال الأردني، من ثقات أهل الشام ومتقنيهم ذكره خليفة بن خياط في الطبقة الرابعة من أهل الشامات قال أبو زرعة لاباس به، وقال ابن معين صويلح وذكره ابن حبان في كتاب الثقات، مات بالشام وكان قد قدم العراق فكتب عنه العراقيون، روى له أبو داود والترمذي وابن ماجة.

عن داود بن جميل: هو داود بن جميل وقال بعضهم الوليد بن جميل، ضعيف من السابعة، ذكره ابن حبان في كتاب الثقات وفي إسناد حديثه اختلاف، وقال الدارقطني مجهول وقال مرة هو ومن فوقه إلى أبي الدرداء ضعفاء وقال في العلل لايصح داود وقال الأزدي ضعيف مجهول، روى له أبو داود وابن ماجة حديثا واحدا.

عن كثير بن قيس: هو كثير بن قيس ويقال قيس بن كثير، ولقد اتفقت الروايات كلها على أنه كثير بن قيس إلا ماروي عن محمد بن يزيد الواسطي في إحدى الروايتين عنه والوهم في ذلك منه والله أعلم، أورده ابن قانع في الصحابة فوهم وهما قبيحا، وذكره ابن حبان في كتاب الثقات.

عن أبي الدرداء: هو عويمر بن مالك بن قيس بن أمية بن عامر الأنصاري الخزرجي الإمام الرباني، تأخر إسلامه قليلا، كان آخر أهل داره إسلاما، وحسن إسلامه، وكان فقيها عاملا حكيما وكان عالم أهل الشام وحقري أهل دمشق وفقيههم وقاضيهم، قال عنه صلى الله عليه وسلم: "عويمر حكيم أمتي"، شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المشاهد كلها بعد أحد، وولي قضاء دمشق في خلافة عثمان رضي الله عنه وتوفي رضي الله عنه 32هـ، وله في كتب الحديث 179 حديثا.

أهمية الحديث:

هذا حديث عظيم يحث على طلب العلم لشرف ورفعة مكانة أهله، ويحث على توقير أهل العلم والتواضع لهم، والرضى على صنيعهم، والدعاء لهم والاستغفار لهم، وهذا دأب الصالحين من هذه الأمة، وينبه كذلك على عدم تحقيرهم وتسفيههم وتجريحهم إلا ببرهان من الله وبينة صادقة، فهم مصابيح الدجى وحملة الرسالة بعد الأنبياء، وهداة الناس إلى صراط العزيز الحميد.

مفردات الحديث

"ليستغفر": قال الصيبي هو مجاز من إرادة استقامة حال المستغفر له، والاستغفار من كل على حسبه.

"وفضل العالم": أي الغالب عليه العلم والعالم هو الذي يقوم بنشر العلم بعد أدائه.

"على العابد": أي الغالب عليه العبادة وهو الذي يصرف أوقاته بالنوافل مع كونه عالما بما تصح به العبادة.

"كفضل القمر": أي ليلة البدر كما في رواية.

"على سائر الكواكب": قال القاضي عياض: شبه العالم بالقمر والعابد بالكواكب لأن كمال العبادة ونورها لايتعدى من العابد ونور العالم يتعدى إلى غيره.

"إن العلماء ورثة الأنبياء": وإنما لم يقل ورثة الرسل ليشمل الكل.

"دينارا ولادرهما": أي شيئا من الدنيا، وخصا لأنهما أغلب أنواعها وذلك إشارة إلى زوال الدنيا وأنهم لم يأخذوا منم إلا بقدر ضرورتهم فلم يورثوا شيئا منها لئلا يتوهم أنهم كانوا يطلبون شيئا منها يورث عنهم.

فقد أخذ بحظ وافر: "أي أخذ حظا وافرا يعني نصيبا تاما أي لاحظ أوفر منه والباء زائدة للتأكيد، أو المراد أخذه متلبسا بحظ وافر من ميراث النبوة، ويجوز أن يكون أخذ بمعنى الأمر أي فمن أراد أخذه فليأخذ بحظ وافر ولايقتنع بقليل.

المعنى العام

تقديم: كثر في أيامنا هذه الحديث عن الدعاة والعلماء ومايجب لهم ومايجب عليهم، وماذا عليهم أن يتناولوا في خطبهم ودروسهم ومواعظهم، وماذا يجب عليهم أن يجتنبوه، وكثر الجدال حول دورهم، ومهمتهم على صفحات المجلات والجرائد، بل وأصبح موضوع الحديث عن أحدهم سببا لترويج هذه الجريدة أو تلك، فهذا يقدح وهذا يمدح، وهذا يصفهم بدعاة التضليل والفتنة والتكفير والإرهاب والتطرف، وهذا يصفهم بدعاة الوسطية والاعتدال، والإسلام الصحيح، لكن السؤال المطروح قبل تناول بعض الضوابط التي يجب مراعاتها في معاملة العلماء، هو: أليس العلماء بقادرين عن الكلام عن أنفسهم، هل انتهى دورهم أم يراد ذلك بكيفية أو بأخرى، هل أصبح الفهم السليم الشامل حقا مشاعا لكل من هب ودب، خصوصا إذا تعلق الأمر بالعلوم الشرعية، إذ لانجد من ينازع أهل الطب اختصاصهم، ولا أهل النجارة، بل ولا حتى أي مهنة أو اختصاص مهما كان، حقيقة إن فهم الدين ليس حكرا على أحد بعينه، أو فئة، معينة، لأننا ولله الحمد ليس عندنا في ديننا رجال دين يحتكرون فهم الإسلام دون غيرهم من المسلمين، ولكن من باب الحقيقة والإنصاف، أن متناول موضوع كيفما كان، وفي أي جانب من العلوم أو مناحي الحياة، فإن عليه ولابد أن يمتلك الحد الأدنى من المعرفة وأدوات فهم النص وأبعاده... إلى غير ذلك مما هو معروف عند أهل الفكر والنظر.

من هنا ومساهمة في إلقاء الضوء على منطقة تظل غامضة، ويدور النقاش حولها، وينقسم الناس عند تناول هذا الموضوع إلى فريقين، نرى. والله أعلم. أن كلاهما قد جانبه الجواب، ولابد لنا من التجرد ما أمكن من الذاتية لتناول مثل هذه المواضيع الهامة والحساسة، وذلك ما سأحاول جهد الإمكان، وإن كان في القلب مايمنع بلوغ تمام الموضوعية...

1. الناس في نظرتهم إلى العلماء فريقان:

فريق يجنح إلى الإفراط والغلو في الطاعة والولاء والتقديس، وعلى حساب الحق، فلا يقبل أن يقال في شيخه أو زعيمه، أو الداعية الذي يهواه نقدا، ولانصحا، ولاتوجيها، ولا أن يقال عنه أخطأ والصواب كذا، فشيخه. في نظره. فوق النص، وفوق المساءلة، أو أن يقال له أخطأت!

وهو ما إن يسمع أي نقد، أو توجيه، أو نصح. وإن كان حقا. يقال عن شيخه، أو لزعيمه الذي هواه إلا وتراه يرتجف، ويصيح، ويفجر في الخلاف والخصام، ويكلمك عن ضرورة احترام العلماء وعن اللحوم المسمومة!

وهو في تعصبه لشيخه الذي يهواه لايتورع عن الطعن والتجريح في العلماء الآخرين الذين لايهواهم إذا دعت ضرورة الدفاع عن شيخه المحبوب إلى ذلك!

أما الفريق الآخر: الذي يجنح للتفريط يتمثل في شريحة من الناس ومنهم بعض من حملة الفكر والقلم، لاتقدم للعلماء العاملين وزنا، ولا قيمة، ولا احتراما، فأحدهم لأدنى خلاف، أو اجتهاد معتبر يصدر عن ذاك العالم، أو الداعية لايفهمه، أو قد لا يروق له، أو زلة لسان في خطبة أو درس أو مناسبة كلام، تراه لايتودع عن الطعن، والاستخفاف به وبعلمه، ويعلن البراءة منه والحرب عليه، بل يشهر سيفه ويغتنمها فرصة لتصفية حسابات ضيقة مع فئة العلماء عموما، من باب إياك أعني واسمعني ياجارة... فيفرغ جام غضبه ويصطاد في الماء العكر، ويثير القلاقل والفتن، زاعما الدفاع عن الدين الصحيح والفهم السليم، وهذا أيضا منهج باطل وخاطئ وهو خلق يبرأ منه الإسلام!

2. ضرورة الموضوعية والوسطية:

والحق وسط بين الفريقين والمنهجين: لا إلى هؤلاء، ولا إلى هؤلاء، ومن غير جنوح إلى إفراط، ولاتفريط نجتهد بإذن الله تعالى، مسترشدين بما كتبه سلفنا الصالح، وعلماؤنا الأفذاذ، في أن نظهر هذا المنهج الحق الذي يحدد صفة وكيفية التعامل مع الدعاة والعلماء، ويبين ما لهم وماعليهم من خلال ذكر بعض الضوابط التي يجب مراعاتها.

وقبل ذلك أستأذن القراء الكرام، في أن نلقي نظرة ولو موجزة على الألفاظ والمعاني التي وردت في الحديث الذي بين أيدينا.

أ. إن العالم الوارد ذكره في الحديث، هو العالم العامل الرباني الذي ليست المطامع الدنيوية هي التي تحركه، بل هو من خلال تحمل أعباء التبليغ، يبتغي وجه الله والدار الأخرة، وإلا فهو وغيره سيان، إن لعالم المقصود في الحديث هو الذي يحبب الله إلى الناس، والناس إلى الله، فتكون مهمته الدعوة والتبليغ، والتوعية والإرشاد، وليس الحكم على العباد. وهؤلاء هم سلفنا الصالح ومن سار على نهجهم، واقتفى أثرهم...ورثوا حظا وافرا من العلم، وأخذوا به فعملوا قبل أن يعلموا بل كان تعليمهم لغيرهم بالحال قبل المقال...

ب. إن ماجاء من جزاء عظيم، وتشريف وتكريم هو هبة ومنة من الرحمن الكريم، وليس بمقدور أي كان ينتزع ويسلب هذا الفضل أهله، وهم العلماء العاملون، الذين لايخشون إلا الله ويدعون إليه بالحكمة والموعظة الحسنة، ويجادلون المخالف بالتي هي أحسن، حتى إذا بلغ النقاش والخلاف أشده، كان المخالف كأنه ولي حميم، لأن الاختلاف في الرأي لايفسد للود والمحبة قضية، إلا أن تنهك حرمات الله، فإن لم يغضبوا ويصدعوا بالحق، فلا حق لهم في ميراث النبوة.

ت. جاء الحث على توقير وتكريم العلماء والدعاة إلى الله وطلاب العلم النافع الشرعي وغيره مما ينفع الناس في دينهم ودنياهم، ولافرق بين علوم الفقه، وعلم الطب والفلك... قلت جاء الحث على توقيرهم والتواضع لهم، والرضى على صنيعهم، ولاخير في أمة لاتقدر علماءها، وهذا لايعني عدم تقديم نصح لهم، ونقد أفكارهم وأقوالهم نقدا بناء يعود بالنفع العميم عليهم، وعلى الأمة أجمع، في أدب جم، وتوقير واحترام، من غير هجوم على أشخاصهم كما يقع في بعض الأحيان... بل يجب على العامة أن يستغفروا ويدعوا لهم بالسداد، لأنهم على ثغر عظيم وخطير من ثغور الإسلام، ومغفرة زلة أحدهم والدعاء لهم هو من أجل أنواع التوقير والاحترام.

ث. العلماء ورثة الأنبياء، والعلم ميراث النبوة، فمن أخذ به، أخذ بحظ وافر، فالعلم أعظم ثروة تملكها الأمة، إذ لا خير في حضارة عمياء لاتقيم للقيم والأخلاق وزنا، فعلى الأمة وخصوصا العلماء أن يقدروا ويحترموا ويحفظوا ويحافظوا على هذه الثروة العظيمة، التي بها يعرف الحلال والحرام وبها يستقيم أمر الخاص والعام...

ج. إذا، فإهانة العلماء العاملين المخلصين وإيذاؤهم، فسوق وضلال، لأنهم حملة ميراث النبوة، وحماة العقيدة...

هذا بعض مايمكن استنباطه وفهمه من هذا الحديث العظيم القدر، ومن أجل تعميق الفهم، سنتكلم في الحلقة المقبلة بإذن الله تعالى عن الضوابط التي يجب مراعاتها عند معاملة العلماء، فعزة الأمة في عزتهم، وكرامتها في كرامتهم...خ

حديث المنابر

احتفال المغاربة بذكرى 20 غشت 1953م

صون للذاكرة الوطنية، وإحياء لمجد الأمة وإحقاق للحق دائم متواصل...

■ إعداد الأستاذ عبد الله الطيبي كدير

الخطبة الأولى:

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله الذي من على هذا الوطن الحبيب مغرب الأنجاد الأمجاد ملوكا وشعبا بالعمل لنصر الله بالإيمان والعمل الصالح، فتواصل لهم نصر الله بالعزة وتثبيت الأقدام والهداية إلى أقوم السبل على مر التاريخ في غير بطر ولا أشر ولا ظلم للحق ولا أهله... بل بالعدل والقسط... والله يأمر بالعدل والإحسان ويحب المقسطين... أشهد أنه الله وحده لاشريك له، لا إله إلا هو، بحق نعبده ونطيعه ولانعصيه، ونشكره ولانكفره، وبهذا الشكر ولهذه الطاعة نعمل بما يرضيه ليرضى عنا، وليرى عملنا صالحا نافعا لخلقه عياله، راشدا سديدا، عن علم ووعي وإرادة سليمة قويمة.. وأشهد أن محمدا عبده ورسوله... حبنا له من حبنا لله تعالى.. واتباعنا لما جاء به من الهدى وسيلتنا إلى الفوز برضوانه عز وجل، يحبه لنا وغفرانه لذنوبنا... فعلى هذا الحب نحيا، وعليه نموت، حياتنا صدق في العمل بنية صدق، نرى بها مستنيرين بنور الله، فيجلو أبصارنا، ويصقل بصائرنا، فتتجلى لنا الآيات في الأنفس والآفاق... وتحمد لنا الأقوال، وتصلح لنا الأعمال، وتستقر لنا الأمور، على حب الله ورسوله وكل خلقه... وعلى قمتهم ولي الأمر منا... حبٌ موصول لا تنفصم عراه، ولاتبلى لحمته أو سداه.. على مر الأزمان ومهما تباعد المكان.. نسمع ونطيع، ونؤدي الذي علينا، ونسأل الله تعالى الذي لنا.. وولي أمرنا ظل ظليل وارف كريم ينشر علينا الأمن والإيمان والأمانة والسلام والإسلام والسلامة.. الحب شعارنا ودثارنا، على هذا الحب بايعنا وسمعنا وأطعنا... هو هدى نبينا وهديه، هو سنته وسننه...فاللهم صل وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد رسول الله وآله وصحبه ومن والاه من عامة المسلمين وخاصتهم في جميع أرض الله قاطبة، وفي وطننا الحبيب مغربنا الأمن وولي أمرنا على هدى الله وسنة رسول الله إلى يوم لقاء الله...

أيها المؤمنون البررة الكرام، المستظلون بظل الله، من الموافقات الكريمة الطيبة التي تدعو إلى التفاؤل الخير الحسن، أن يوم الجمعة هذا المبارك هو يوم 20 غشت.. وهو يوم أرخ به المؤرخون المحققون لميلاد خير البشر وأكملهم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، وهو يوم يوافق أيضا ذكرى ثورة الملك والشعب، يوم امتدت أيدي المستعمر الغاصب إلى رمز سيادة الأمة وعزتها ولي أمرها آنذاك ببيعة الصدق والوفاء مولانا أمير المؤمنين محمد الخامس رحمه الله ورضي عنه معتقدة أنها تقتلعه عن عرشه، ومافعلت إلا أن ثبتته على عروش القلوب، وماعلمت أنه بذلك راضٍ مختارٌ مريدٌ، لأنه كان يريد ملكا على شعبٍ حر مستقل، يمتلك ناصية أمره ومقاليد أموره بيده، غير خاضع ولا ذليل ولامستعبد إلا لربه وحده لاشريك له وتلك قمة حريته واستقلاله.. كان رضي الله عنه وأرضاه يريد ملكا على أمة من الأسود، لاترضى أن تدنس عرائنها . أي مواطنها . أمة غريبة على غير دينها ولاحضارتها.. وصدق سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم حين قال فيما رواه الترمذي وحسنه: "من أهان سلطان الله في الأرض أهانه الله" وكذلك كان محمد الخامس رضي الله عنه وأرضاه (سلطان الله في الأرض) ببيعة صدق مباركة أجمعت عليها الأمة... وأراد المستعمرون إهانته، لأنه وقف لهم بالمرصاد ضد أغراضهم الدنيئة في استعباد شعبه، واستغلال خيرات أرض بلاده، وتبديد شمل أمته، وتحويل وجهتها السليمة القويمة عن دينها وحضارتها ومقومات أصالتها، إلى وجهة شوهاء ماأنزل الله بها من سلطان... فكان أن ثار الشعب كافة، وقام قومة رجل واحد.. وأخذ يثأر لملكه ولي أمره أمير المؤمنين ببيعة الصدق والوفاء... ولدينه ولمقومات وطنه.. فكانت المهانة للمستعمر وأذنابه.. وكانت العزة لله ولرسوله وللمؤمنين.. وكذلك تبقى إلى يوم الدين... ولايهين دينه ووطنه وأمته إلا مهين... والعاقبة للتقوى وللمتقين، والتاريخ والواقع يشهدان...

ثورة الملك والشعب يوم 20 غشت سنة 1953م ثورة حق أثبتت أن هذا الشعب وملكه ولي أمره يتبادلان في اتحاد ووحدة ووفاق ووئام صافي الود ووثيق الإخلاص.. وبهما وعليهما تقوم الأعمال العظيمة التي ترتفع بها الأمم والشعوب وتتقدم وتتحضر... وبهما تعظم وتثرى وينجب أبناؤها ويرقون أفرادا وجماعات ويسعدون... فأمير المؤمنين في مغربنا الحبيب ليس مجرد حاكم فقط، بل هو والد يربي ويعلم ويصلح ويضحي ويهدي إلى أقوم السبل..

أمير المؤمنين ولي الأمر في مغربنا الحبيب ليس مجرد أمير عادي تولى الأمرة فنالها، وإنما هو ولي الأمر حقا وصدقا ببيعة الصدق والوفاء والصفاء والود المتبادل بينه وبين شعبه، على سنة الله ورسوله، وهدي السلف الصالح، وعن علم يدعم تراث الماضي المجيد بالعمل الصالح المفيد، لبناء حاضر عتيد مجيد، يؤسس لبناء مستقبل سعيد رشيد، بتحصيل كل علم طارف وتليد، يحفظ للأمة دينها ولغتها وتقاليدها الرشيدة ودينها الحنيف.وأؤكد أيها المؤمنون البررة الكرام أن ذكرى 20 غشت 1953م حين نحتفل بها ونحتفي فإننا بذلك نؤكد لأنفسنا وللعالم من حولنا حاضرا ومستقبلا بأن إمارة المؤمنين في مغربنا الحبيب عهد صادق وبيعة صدق وفية سامية... أمير المؤمنين بها يتحمل الأمانة بوعي واختيار منه ومن شعبه، معان عليها من الله، مسدد مَرْشَدٌ مُوَفَقٌ.. حب شعبه يحيطه... والدعاء الصالح من حوله.. وعناية الله وصيانته ترعاه... والله من وراء أعدائه وأعداء شعبه محيط... والعاقبة للمتقين وللتقوى... فاللهم حصن مولانا أمير المؤمنين ولي أمرنا حفيد محمد الخامس ووارث سر الحسن الثاني بأمانك واجعله في مكنون حفظك، واكنفه بكنفك في سترك وصيانتك ورعايتك، واحرس شعبه في وطنه ودينه وأمواله وأولاده ودياره وانقذه من كل شر وضر ووزر، وكل بأساء وضراء ولأواء... وأعذه من كل شيطان من إنسان أو جان.. وارحم برحمتك مولانا محمدا الخامس بطل التحرير، ومولانا الحسن الثاني موحد البلاد وباني أمجاد التحرير... سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين..

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين... الحمد لله الذي يوفي الصابرين من عباده أجرهم بغير حساب... فكان لهم نعم السند، ونصرهم على أعدائهم من الظلمة الطغاة المفسدين في كل حين... وقد كانت ثورة الملك والشعب يوم 20 غشت 1953م من أروع الأمثلة على صدق الصادقين المنصورين فلا تنتهك لهم حرمات في وطن ولادين... أشهد أنه الله جعل العزة له ولرسوله وللمؤمنين بشدتهم على أعدائهم الكافرين، ورحمتهم لبعضهم فيما يعز الدين، وينفع خلق الله أجمعين بما لايغضب رب العالمين... وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله، خاطبه الله تعالى وجميع المرسلين بأن يذكروا المؤمنين بأيام الله وبالصبر والشكر والاتعاظ والاعتبار بآيات الله في خلقه أجمعين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وجميع الأنبياء والمرسلين وآل كل الصالحين وسلم تسليما إلى يوم الدين.

أيها المؤمنون البررة الكرام، يوم 20 غشت 1953م من أيام الله في هذا المغرب الحبيب فلنذكره ولنتذكره، وهو من آيات الله في النصر المبين لعباده المؤمنين... صبر فيه الملك والشعب فانتصرا.. وهما اليوم في احتفالهما به يشكران، فلهما المزيد من نعم الله وفضله حاضرا ومستقبلا.. إنه يوم تضحية وفداء.. ومن موافقات التوفيق فيه أنه كان في يوم عيد الأضحى المبارك وهو يوم تضحية وفداء، وذكرى تضحية وفداء على مر التاريخ، من إبراهيم الخليل بابنه وفلذة كبده إسماعيل الصابر الصادق الوعد، المضحي بنفسه طاعة لربه ووالده.. وعلى نهجهما سار الملك والشعب.. حب وتضحية وفداء.. فكان احتفالنا بذلك امتثالا لأمر الله: "فاقصص القصص لعلهم يتفكرون"واستجابة لنداء الله: "واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون".

فاللهم وأنت المحيط بغيب كل شاهد، والمستولي على كل ظاهر وباطن، نسألك بالاسم الأعظم الحي القيوم أن تقهر أعداء الوطن والدين وأن تكف عنا وعن ديننا وملكنا ولي أمرنا أكف العادين، وأن تقطع دابر القوم الظالمين... وأبعد عنا كل خلق سيء وأهله، إليك نرجع أمرنا كله دقة وجله...

مولانا أمير المؤمنين سادس المحمدين اللهم ارم أعداءه وأعداء شعبه وأمته بالقواصف من نقماتك، واضربهم بسيف سخطك وسطواتك... وأعذه وشعبه وأمته من كل ظالم وغاشم وطارق وفاسق ومنافق، إنك على كل شيء قدير... اللهم أقر عينه بولي عهده الفرحة المشرقة الكبرى، والبشرى المتواصلة العظمى، مولانا الحسن ، ومتعه بكل وصف وخلق حسن، وأنبته النبات الحسن...اللهم أقر عينه بشقيقه السعيد الرشيد مولانا الرشيد، واشدد به أزره ، واجعله له ردءا يصدقه... وأقر عينه بكل أهله وشعبه واجعلهم من حسناته... وارحم والدينا وجميع المسلمين برحمتك الواسعة، وعلى رأسهم بطل ثورة الملك والشعب محمد الخامس وباني التحرير ومحقق الوحدة والألفة والوفاق الحسن الثاني... واجعلنا على عهدهما في الحب والود والألفة والوفاق والاتفاق سائرين... وصل اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد النبي الأمي الطاهر الزكي صلاة تحل بها العقد، وتفك بها الكرب، وتقضي بها الحوائج وتشفي بها العلل... وعلى آله وصحبه وسلم تسليما مباركا طيبا...

سبحان ربك رب العزة عما يصفون والحمد لله رب العالمين آمين.